كما كان يتصل بالمطوف بمكة والمطوفون فى مكة كثيرون لان الحجاج ينزلون بها فى وقت واحد أما المدينة المنورة فان الزوار يأتون اليها زمرا زمرا وفى أوقات مختلفة

عند أنوار البقيع

دخلت من الباب المقام هناك فوجدت القبور كلها صارت مع الارض فى مستوى واحد ولقد أخذ منى العجب أي مأخذ من مبدأ الوهابيين فى الكراهة الشديدة للقبور فما رأيت امة ولا مذهبا يقول قولهم

وضعت حذائى تحت ابطى ومشيت ولو استطعت ان امشى على صفحات خدى ما ترددت لانهم اهل البقيع وما ادراك من هم اهل البقيع هم اقرباء النبي الكريم وانسبائه وعترته واهل بيته بل هم الكواكب المتألقة فى سماء الاسلام الصاحية فهم هداته وهم قادة الخلق الى عز الحياتين

مولاتى الزهراء

انه يعز علي ان تندثر معالم قبرك الشريف حتى يداس عليه بالاقدام ولو أقيم بجانبه مسجد أو أي بناء مامشي عليه احد وهو يدب بالنعال

قامت الحرب بين روسيا واليابان فكان الشبان اليابانيون يتطوعون للجندية مدفوعين بعامل التحمس للوطنية وقد تقدم الى مكتب الفرز فتى من اهل طوكيو فلم يقبله الكشف الطبي لضعف فى بصره فقال اذا لم

أنفع فى الجهاد مع الجيش فانى أصلح لان أوضع فى غيارة ويلقى بى فى أليم بدل أحد الاحجار التى يلقونها فى ميناء بورت ارثور لسدها فى وجه الاسطول الروسي . ونحن لانكون أقل غيرة من هذا اليابانى يامولاى فاذا أعوزهم الاحجار فانى أرضى ان أكون بدل أحدها لتشيد بذكرك العطر

مولاى الزهراء

لولا ان الذى انتهك حرمة قبرك الشريف هو الرجل العادل الذى أمن الطريق الى مقام أبيك الكريم لغضبت ثم غضبت ولكن يامولاى (ان الحسنات يذهبن السيآت) فسلام عليك وعلى أخيك الطفل المحبوب سيدنا ابراهيم وعلى أختك الكريمة سيدتنا رقية

ان كافة المسلمين يعترفون بمجد بيتكم وسابقتكم وانتخابهم يابوركم وفضلكم حتى وانهم انتفعوا من جهة أخيك الطفل المبارك سيدنا ابراهيم لانه عند ما انتقل الى العالم الآخر وجلس أبوك العظيم على قبره يلقنه كلمات التوحيد انتحى سيدنا عمر ناحية من المكان وأخذ فى البكاء حتى بكى لبكائه سادتنا الصحابة ولما سأل الرسول الكريم عن سبب هذا البكاء اجابه سيدنا عمر اذا كان هذا الماثت طفلا لم يبلغ الحلم بعد وانت تلقنه كيف يرد على الملكين فاذا يصنع الكبار الذين خاضوا فى بحر هذه الحياة الخضم ؟ عند ذلك نزل الوحي بقوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة

مولاى ابا محمد الحسن

ان انس لا انسى وانت واخوك الجليل الحسين تدبان بين يدي جدكما

المعظم وقد دخل عليه وفد نجران النصارى ولما عرض عليهم سيد الانبياء قول الله تعالى (فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فلم يقبل الوفد هذه المباهلة ولما سئل كبيره عن سبب امتناعه عن تلبية هذا الطلب قال لانى نظرت وجوها لو طلبت من الله تعالى قلب البسيطة لقلبها

كذلك ولا انسى يوم ان دخل احد الصحب الكرام فوجدك وأخاك تلعبان على ظهر جدكما العظيم فيقول الصحابي (نعم الجمل جملكما) فيرد عليه سيد الاكوان (ونعم الراكبان هما)

ثم ومن حسن ادبكما الذى ادب الله تعالى به بيتكما انك وجدت رجلا لم يسبغ الوضوء فمنعك حياؤك الغض وادبك النضر أن تجبهه بالنصيحة بل قلت له .اسمع ياعم . ان اخى هذا يقول ان وضوءه احسن من وضوئى فتعال نتوضأ امامك لتنظر أينا احسن وضوءا فلما توضأ أما امامه قال والله ياالولادى ان وضوءكما احسن من وضوءى ثم اصلح هو من وضوءه

وكنت يامولاي المثل الاعلا فى التضحية لصالح المسلمين حيث انك لم تعبأ بابهة الملك وعز الخلافة وتنازلت عنها عن طيب خاطر حتى هدى الله بك طائفتين عظيمتين من المسلمين

وكنت أيضا يامولاي القدوة الصالحة فى الاناة والحلم حيث كان والى المدينة مروان بن الحكم يريد ان يثير غضبك بصلفه وغروره فلا تأبه به وتحلم عليه وانت ابن الاكرمين حتى عندما انتقلت الى الدار الآخرة كان يبكيك فقيل له كيف تبكيه وكنت تغضبه فيقول لانها حلم من هذا ويشير الى الجبل

مولاى العباس بن عبد المطلب

إن لك على الاسلام لفضلا يسجله لك التاريخ فى صفحاته الخالدة بمداد من نور إذ كنت عينا على الكفار تخذل عن الاسلام بما استطعت من من حول وطول وكنت عونا لابن أخيك الكريم تساعده على رفع لواء الاسلام عاليا

مولاى سفيان بن الحارث

إننى أذكر لك بكل طيب من القول وقفتك المحمودة بجانب ابن عمك الامين المأمون تمرغ خدك على رجله فى الركاب وهو يتطلى (دلدل) يوم حنين إذا عجب المسلمين كثرتهم فتهاونوا فى النزال حتى كان ما كان إلى أن رمى الكريم الحليم حصيباته فأنزلت عليه آية التسليم بالقدر (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى)

مولاتى الحميراء

أنت التى أخذ المسلمون عنها نصف دينهم وأنت (الحصان الرزان) من نزل ببراءتها القران يتلى على مر السنين وكر الاعوام فسلام عليك ياسيدتنا عائشة الصديقية وعلى جيرتك الزوجات الشريفات أمهات المؤمنين

سيدنا ابا امامة اسعد بن زرارة

انى لا أنسى تاريخك الجليل وخطواتك الميمونة نحو قومك الاوس والخزرج تحثهم على اتباع النور الذى انزل من السماء فكنت بشير الهناء

اليهم وكنت محمود الطلعة و(نقيب) الخير عليهم حيث كنت تعاون فتى قريش مصعب بن عمير على نشر كلمة اليقين بين السادة الانصار

سيدنا سعد بن معاذ

كنت ياسيدى فى الانصار كابى بكر فى المهاجرين وانى اثنى عليك ثناء طيبا لما أظهرته من العطف نحو صاحب المقام المحمود كما وانى اذكر لك موقفك المشرف يوم أن أقامك حكما على بنى قريظة فقلت قولتك المأثورة (قد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم) ثم حكمت حكمك الذى صدر من سبع سموات

وأيضا لا يفوتنى التنويه برفعة مقامك وقت أن قدمت على خير الناس ويحيط به صحبه الكرام فيقول للسادة الانصار (قوموا لسيدكم) سادتى السابقين الاولين

سيدنا عثمان بن عفان

صاحب النورين وزوج الزهرتين كريمتى خير المرسلين كنت ياسيدى غيورا على الاسلام حتى جهزت جيش العسرة من طيب مالك ولما القيت بالذهب فى حجر سيد الزاهدين صار يقلب فيه ويقول (ما ضر عثمان بعد هذا) وكفى بهذا فخرا

سيدنا عبد الرحمن بن عوف

ان قلمى الضعيف ليعجز أن يلم بطرف من مناقبك العالية حيث كنت

ممن هاجر الهجرتين وتوجه شطر القبلتين. وإنى أذكر عندما تلاحى معك سيدنا خالد بن الوليد (وكان ممن اسلم أخيرا فى العام الثامن الهجري) ولما سمع بهذا سيد المرسلين قال له (مهلا يا خالد دع عنك اصحابى فوالله لو كان لك احد ذهبا فانفقته فى سبيل الله تعالى ماادركت غدوة رجل منهم ولا روحته) والمراد باصحابه السابقون الاولون

سيدى سعد بن ابى وقاص

انك يامولاي السيد الكريم حيث فداك سيد ولدآدم بابيه وامه وانت ترمى فى اليوم العصيب يوم احد اذ يقول لك (ارم سعد فداك ابى وامى) وأي شرف بعد هذا ؟ وكنت ياسيدى مجاب الدعوة بدعاء سيد الخلق

سيدى ابا عبد الرحمن عبد الله بن مسعود

كنت ياسيدى كاتم سر الامين المأمون وبعد أن انتقل الى الرفيق الاعلا كنت ترجمان لسانه فاخذنا عنك معظم تعاليمه المرضية

سادتى السعداء اهل البقيع

أننا لا نرضى أيها السادة أن يغمط فضلكم ويقبر ذكركم وأنتم جيرة الحي الزاهر والركن العامر جيرة البقعة الطاهرة خير بقاع الارض طرا

هذا ولما أرادت صاحبتى أن تتشرف بزيارة البقيع منعها الجند عن الدخول فاوقفتها على تل عال يشرف على هذه الانوار وسردت لها شيئا من أسرار هؤلاء الاقمار الثاوين فى هذه الاجداث الاطهار

صلاة الجمعة بحرم المدينة

كنت فيما مضى أرى المجمرة توضع كل يوم جمعة أمام القبر الشريف ويطاق بخور الندوالعود ثم يأتى رجل من الفقهاء ويقف أمام الواجهة الشريفة ويتلو آيات منتقاة من بين الآيات الكريمة مثل قوله تعالى (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار . سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون . الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب)

ووقتها كان ضمن الزوار رجل من أهل مصر المحبين ذوى الصوت الحسن فأخذ يترنم بقصيدة غراء فى مدح افضل ممدوح فكان جمال صوته يلين القلوب فتذرف العيون الدموع من شدة الوجد والهيام .

فتذكرت يوم أن عاد سيدنا بلال إلى المدينة بعد انتقال سيد الانقياء إلى العالم الآخر وقد ألح عليه سادتنا الحسن والحسين وبعض أعيان الآل والاصحاب أن يؤذن فلما اذن استعبر الناس واجهشوا بالبكاء تشوقا لذكر الحبيب المحبوب

وقد رأينا الآن بعض الناس ينقمون منا أن نمتدح الامين المأمون ونحن دونه مقاما واحتراما بل لا نكون قطرة من غيث فضله ولا نقطة من بحر علمه وقد مدحه مولاه المهيمن الكريم بآيات بينات من القرآن الحكيم وكان أظهرها (وإنك لعلى خلق عظيم)

وكما أنى لم أسمع أحدا يقرأ السورة بالحرم المكي كذلك لم أسمع من يقرأها بالحرم المدني . وقد سمعت رجلا مقرئا من بلدة مجاورة لمدينة طنطا

بالقطر المصري يقرأ شيئا من سورة الكهف وهو فى وسط الناس وكان رخامة صوته تجعل قلوبنا تخشع لذكر الله تعالى

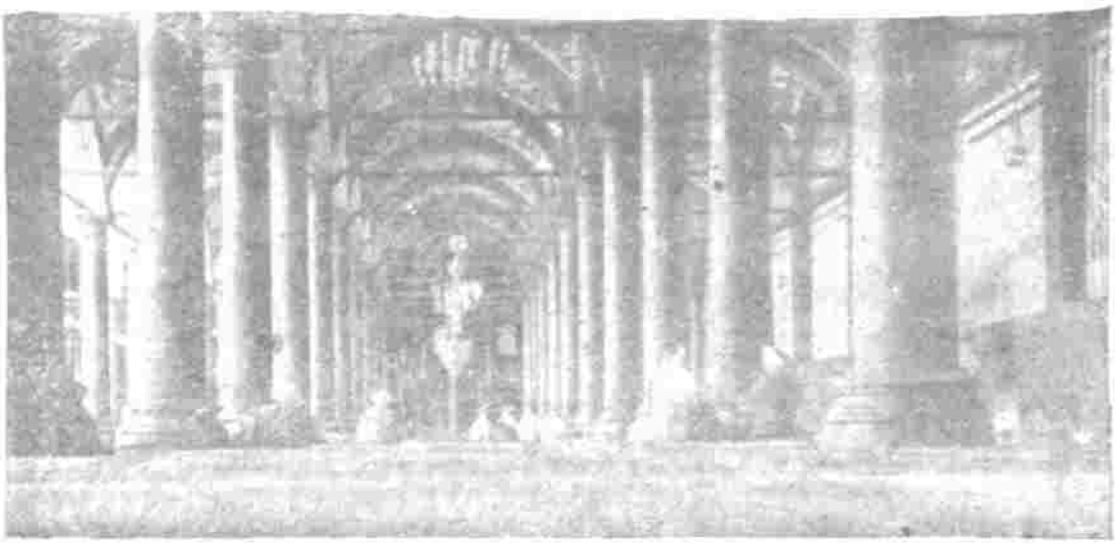

منظر بواكى داخل الحرم النبوى الشريف

ولقد رأيت الجند يفسحون مكانا فى الروضة الشريفة من جهة الطرقة حتى حضر والى المدينة وجلس فيه بين خواصه وأضيافه وكنت أحيطه بنظرات العطف لانى أتحيز للعرب إكراما لمن تشرفت به العرب

كان الخطيب فيما مضى يلبس عمامة كبيرة أشبه بعمامة الخلفاء العباسيين ويلبس عليها شالا كشميريا ثم يرتقى المنبر ويلقى خطبته وكلما يذكر شيأ من الاحاديث يشير الى القبر الشريف ويقول (قال صاحب هـذا المقام)

وانى أرى اليوم الخطيب وهو يرقى المنبر بلباسه العادي النجدي وقد ارتاحت نفسى اليه لأنه كان يتكلم بتؤدة ورزانة وقد أذن المؤذن بين يديه والقى خطبته وهي تحث على ترك البدع والاخذ بصحيح السنة ثم صلى على سيد الكائنات وترحم على أهل البيت الاطهار وعلى الصحابة الاخيار منهم العشرة الكرام وغيرهم من المهاجرين والانصار . ثم أخذ يدعو للحجاج

والمسلمين وكانت خطبته لاتختلف عن الخطبة عندنا الا انه لم يأت فيها بالحديث الشريف . ثم أقام الصلاة بخشوع وسكون مع اتمام الاركان

الدرر والتحف

أمعنت النظر بالحرم الشريف فطفقت أسدد اللعنات الى هذه الحرب العالمية لانها كانت سببا فى ضياع التحف والهدايا التى كان عظماء المسلمين يهدونها الى القبر الشريف حتى كان منظر الحجرة يبهر الابصار لما تزين به من نفيس الجواهر وكان أبهاها منظرا الجوهرة الثمينة الكبيرة المسماة بـ (الكوكب الدري) هـذا عدا الشمعات الذهب والثريات المرصعة (والدنيا مظاهر)

وانى أذكر من باب التحدث بنعمة الله تعالى انه فى أثناء زيارتى الاولى لم أشغل نظرى بهذه الجواهر مطلقا بل كنت أتفرغ لمناجاة العالم بالسر والنجوى حتى يتفضل ويأذن بتبليغ سلامى واحترامى لمقام الرسالة العظمى

انوار الحرم

كان يحلو لى الاستئناس بالجلوس فى الروضة الشريفة التى قيل فيها (مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة) وكنت أفكر مليا فى ماآل اليه أمر الحرم النبوي الشريف حيث تراه لابسط ولا طنافس ولا أنوار كافية فدار بخلدى ان القوم لايزالون على مبدأ تقليل الانوار بالمساجد وكأنى بهم وقد غاب عنهم ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما رأى كثرة الناس الذين يؤمون المسجد الشريف زاد فى اضاءته فلما رأى سيدنا الامام علي هـذا النور قال (من نور مسجدنا ينور الله عليه ضريحه) وفى هذا حث على انارة

المساجد بالنور الكافى

عادت بى الذكرى الى زمن العثمانيين أيام كنا نرى حفلة الاضاءة تنظم عند الاصيل من القنديلية والوقادين وهم يلبسون ملابس بيضاء ومعهم مندوب من قبل الخازندار وآخر من قبل شيخ الحرم (وكان برتبة الباشا) ويصحبهم بعض الاغوات من خدام الحرم الشريف النبوي والجميع يلبسون ملابس بيضاء من نوع واحد (أي فراجية بيضاء) ثم يأتى المبخر ويطيبهم بماء الورد يرشه من (قمقم) معه ويطاق البخور من بجمرة معدة لذلك ثم يقومون صفين متراصين ويدخلون الى الحجرة الشريفة من باب السيدة الزهراء (وهذا الباب دائما موصد ولا يفتحه الا الخازندار أو من ينوب عنه) فينزل القنديلي القنديل ويسرجه الوقاد ويرفعه الآخر وهكذا الى ان تتم عملية الاضاءة فى الحجرة الشريفة ثم يقفون صفا منظما امام الواجهة من الداخل ويلقنهم (المدعى) المرافق لهم بان يطلبوا من الله تعالى ان يتفضل بقبول هذه الخدمة لرسوله وحبيبه ويسألوه تعالى أيضا بان يجعله راضيا عليهم

ولقد سبقت لى السعادة وتشرفت بالاندماج فى هذه الحفلة المباركة وكنت أعدها نعمة عظيمة كما كان يعدها كل الناس حتى وان المرحوم السلطان عبد الحميد قد أنعم على سمو الخديوى السابق عباس الثانى برتبة وقاد شرف بالحجرة الشريفة النبوية أثناء تشرفه بزيارة القبر الشريف

وليس فى هذا اشراك بالله تعالى اوانما ندعو مع الله احدا بل اننا نتقرب اليه سبحانه وتعالى بتكريم من اكرمه وشرفه وعظمه

وانك تنظر الآن فلا ترى اي نور بالحجرة الشريفة ولا من يعتنى بها وترى ثريات الكهرباء المضاء بها المسجد الشريف قليلة وضئيلة حتى صرت اشكك في عقيدة من اثنتين اما عقيدة الامة التي ظلت القرون

العديدة وهي تقوم بخدمة هذا القبر الشريف وتكريمه وتعظيمه واما عقيدة الوهابيين الذين لايعتنون بالقبور ويعتبرون ان لاكرامة للميت مادام انه مات وانقطع عمله . ولكن عقيدة الاكثرية هي التي يرتاح اليها العقل ويقرها العرف

تزويق المساجد

ومن الناس من تختمر فى رأسه عقيدة وقل من يستطيع ان يزحزحه عنها حتى ولو كانت سقيمة وكانت لاتتمشى مع العمران ولا مع العقل اذ يقول بعضهم ان تزويق المساجد امر غير ممدوح لانه يشغل افكار المصلى . واي مصل لايشتغل فكره اثناء الصلاة وهذا سيدنا عمر بن الخطاب كان يهيء جيشا كاملا وهو فى الصلاة ، ثم واشتغال الفكر رحمة من الله تعالى بعبيده الضعفاء أمثالنا اذ لو أخلى الانسان ذهنه من الاغيار وافتكر بيقين انه ماثل امام العزة الصمدانية لذاب جسمه من الخشية والرهبة لمقام الربوبية العظيم

وعلى كل حال ان التزويق الممقوت هو من قبيل الصور التى أمر السيد الكامل بازالتها عن الكعبة المشرفة يوم الفتح الاعظم

مناصب الدولة

ترى الحكومة السعودية وهي تعطى كل مناصب الدولة الرئيسية للنجديين فكنت ترى الوالى وشيخ الحرم والخطيب والعلماء والاطباء أكثرهم من النجديين ولا تثريب عليها فى ذلك لانها تود ان تحفظ كيان الدولة من كيد المناوئين

ولقد سمعنا اشاعة صاغها مروجوها فى قالب من عواطفهم ونسجوها على منوال من ميولهم وخواها ان فرج أهل الحجاز سيكون بعد سبع سنين كما يقول العارفون بعلم الجفر والبازرجة . وهم يقصدون بهذا ان هذه الدولة السعودية لاتمكث بالحجاز سوى هذه المدة ولكن فات هؤلاء المهتوريين ان المسلمين كلهم مدينون لهذه الدولة بحياة أفراد الحجاج منهم والجميع يتمنى لها العمر المديد والعز والتأييد

المؤسس على التقوى

فى طريق قباء

أين تذهب ياصعلوك وسط الملوك ؟ ضربت هذا المثل لنفسى عندما تخيلت وأنا أركب العربة مع صاحبى ووجهتنا قباء أننى أخرج مع السادة الانصار لملاقاة مولانا صاحب الانوار ولكننى وجدت أنه ينقصنى الثوب الابلج والبرذون المهملج والحسام السمهر والرمح الاسمر حتى أنزل فى حلقة البرجاس فرحا بلقاء خير الناس ثم عدت فانكمشت وقبعت فى العربة حيث لا قبل لى على الامر العظيم الذى أقدم عليه السادة الانصار وهو الثبات عند مشاهدة الجمال والكمال والبهاء والضياء . نعم إن السادة الانصار كادت تطيش أحلامهم عند ما تبدت للعيان طلعة صاحب الجبين الوضاء ولكن المولى الكريم أراد أن يبقى عليهم ليجعل انقاذ الانسانية على أيديهم ويأتى بالخصب إلى الارض المجدبة من بين ظهرانيهم .

أنى ارهفت سمعى وكانى أسمع اليهودي وهو واقف على أطم مرتفع من آطامهم فيبهره السناء المتلألىء بين مسارب السراب فلم يتملك نفسه إلا أن ينادى بأعلا صوته (يامعشر العرب هذا حظكم الذى تنتظرون قد اقترب) فركب بنوقيلة (وهم الاوس والخزرج) وخفوا إلى ملاقاة المهاجر العظيم وصديقه الحميم مؤهلين مرحبين فرحين مستبشرين

ويقول فى ذلك سيدنا أنس بن مالك . لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء وصعدت ذوات الخدور على الاسطحة عند قدومه وهن يعلن مع الصبيان والولائد

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعى لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

خرجنا من باب السور الشمالي وكان به مخفر الشرطة وسارت بنا العربة فى طريق معبد بين حدائق غناء أكثرها من النخيل وكنت أرى كل شيء يضيء فى الافق أمامى. نعم انى خلفت مبعث الانوار وسر الاسرار فى مكانه الطاهر ولكننى أسير أولا مع خيالى حتى نصل الى قباء قبل العربة لنشاهد منازل كلثوم بن الهدم بن امرىء القيس شيخ بنى عمرو بن عوف الذى جاءته السعادة طائعة مختارة عند ماتشرفت دياره بيمن قدوم رحمة العالمين وقد هاجر الى طيبة ونزل ضيفا كريما على هذا الشيخ العظيم

هاجر السيد الكريم وكانت هجرته خيرا وبركة على العالم حيث انتشرت تعاليم الاسلام القويمة وسرت روحه العالية فى كل الارجاء ونزلت غيوث العرفان فاحيت الارض بعد موتها حتى صار الانسان يتقلب فى نعيم الحياة ورغد العيش

ما أفضل الحب فى الله تعالى خالصا مخلصا إذ كان سيدنا أبو بكر الصديق وهو يسير فى طريق الهجرة مع رفيقه العظيم يمشى تارة أمامه وتارة خلفه وطورا بجواره ويقول فى ذلك إنى أخشى الرصد فأمشى أمامه وأخشى الطلب فأكون خلفه وأخاف الكمين فأسير بجانبه فانظر إلى الاخلاص لله ولرسوله

وكم جرت من معجزات وبركات فى الغار وبعد الغار إلى أن وصلا إلى مستودع الاسرار ومدينة الانوار ومثوى الاخيار الابرار

ماء المدينـــة

وصلنا بالعربة إلى محلة قباء وجلسنا فى مقهى مقامة على عريشة من الخوص وشربنا ماء خلنا أنه مبرد بالثلج ولكنه مفعول القلل الفخار وخاصية طينتها فى التبريد وخاصية الماء المبارك أيضا

وماء المدينة المجعول للشرب هو من العين الزرقاء أو (عين الازرق) وهو بئر بقباء غربي مسجدها وسبب تسميتها بالازرق نسبة إلى مروان ابن الحكم لانه كان ذا عينين زرقاوين وقد أجراها إلى المدينة المنورة وهو عامل معاوية عليها وبأمر منه وساربها حتى أوصلها إلى مصلى الاعياد (عند مسجد الغمامة) ثم صار الناس يصلحونها ويمدونها بعد ذلك إلى أن وصلت إلى الحرم النبوي الشريف وماؤها عذب فرات وكنت أشرب منها على الريق فلا أشعر بأي تعب وكانت طريقة حصولنا على الماء كحصولنا عليها فى مكة المكرمة

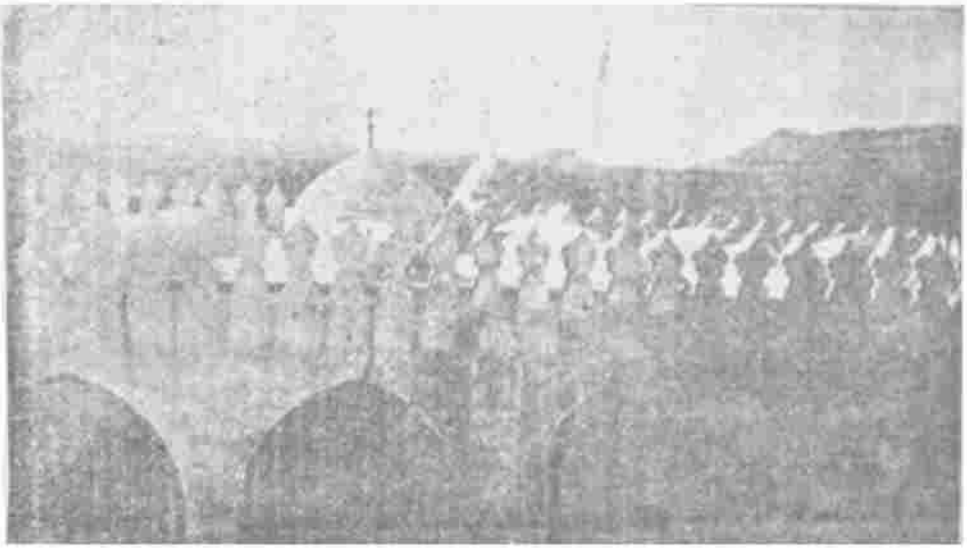

داخل مسجد قباء

فى مسجد قباء

تشرفنا بالدخول الى مسجد قباء الذى يقول الله تعالى فى شأنه بعد ذكر مسجد ضرار (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون . لاتقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه . فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين افمن اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لايهدى القوم الظالمين لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم)

وسبب إنشاء مسجد ضرار هذا ان جماعة من الانصار ابتنوا مسجدا وكان أبو عامر الفاسق أحد كبار المنافقين يحضهم على بنائه ويقول انى أستنجد بقيصر الروم فيمدكم بجنود ذوى بأس وقوة لتخرجوا محمدا وأصحابه من المدينة

ولما فرغوا من بناءه طلب مشيدوه من النبي الكريم ان يصلي فيه ولما نزل قوله تعالى (لا تقم فيه أبدا) امتنع وأرسل نفرا من الصحابة ليهدموه ويحرقوه

أما مسجد قباء فان السيد العظيم بناه أثناء اقامته الشريفة بها ولما تحول الى المدينة المنورة كان يذهب اليه ويصلي فيه وكذلك فعل الصحابة من بعده

زرنا مسجد قباء وهو كائن بالجنوب الغربي المدينة المنورة وفيه موضع يقال له (طاقة الكشف) وبه بئر يقال انها لابي أيوب الانصاري صلينا ودعونا الله تعالى لنا ولاولادنا ولجميع المسلمين

وفي غرب المسجد مسجد السيدة فاطمة الزهراء وبه مكان يقال انه الموضع الذي كانت تطحن فيه الشعير وقد عمل الآن مخفرا للشرطة

ابار المدينة

ولما خرجنا من المسجد توجهنا لمشاهدة الآبار وهي بئر العين الزرقاء التي سبق الكلام عنها . وبئر اريس وهي في الشمال الغربي من مسجد قباء وهي داخل حديقة وعمقها نحو الاثني عشر مترا وبها فتحتان يجري بهما الماء وفتحة ثالثة تصل الى العين الزرقاء

واريس الذي سميت البئر باسمه رجل من اليهود ومعنى اريس (الفلاح) بلغة اهل الشام

وتسمى هذه البئر بئر الخاتم لان خاتم سيدنا رسول الله وهو مكتوب فيه (محمد رسول الله) ختم به سيدنا ابو بكر ثم سيدنا عمر ومن بعدهما سيدنا عثمان وبعد ست سنين من حكمه جلس على هذه البئر وخلعه من اصبعه وصار يعبث به فوقع منه فصاروا ينزحون البئر مدة ثلاثة ايام فلم يجدوه

وتسمى ايضا بئر التفلة لان سيدنا ومولانا المصطفى تفل فيها بريقه المبارك ومقام عليها ساقية وهذه الساقية مخالفة لترتيب السواقى عندنا وتسمى عندهم (سانية)

وبالمدينة أبار كثيرة منها (بئر الاعواف) وهي احدى صدقات النبي المختار (وبئر أنس) وهي جهة الحديقة المعروفة بالعينية وبقرب هذا البئر قبر الشريف الكريم والد خير المرسلين (وبئر بيرحاء) الذى أوقفها أبو طلحة الانصاري على أقاربه وبنى عمه (وبئر رومة) وهي التى اشتراها سيدنا عثمان بن عفان وجعل ماءها للمسلمين يشربون منه مجانا (وبئر غرس) وهي بقباء شرقي مسجدها وعدا هذا يوجد آبار كثيرة مثل بئر القويم وبئر العباسية وبئر الصفية وبئر البويرة وبئر عروة بوادى العقيق ويوجد آبار أخرى وكل أهل المدينة يعولون على هذه الآبار فى سقي أراضيهم ومواشيهم

دار ابى ايوب

كانني أرى العضباء وهي تبرك أمام دار خالد بن زيد المكنى بابى أيوب الانصاري بعدما كان كل من السادة الانصار يحرص على نزول راكبها العزيز بداره ولم تسع الدنيا ابا أيوب من الفرح وأدخل الرحل الى الدار ونزل الراكب الكريم بفنائها. نزل بهذه الدار مفتاح أسرار الربوبية العظمى ومبعث أنوار تجلياته ورحماته الى خلقه ويالها من بركة حلت بهذه الدار

وقد تحول المهاجر العظيم الى مسجده الشريف بعد ان مكث بها مايقرب من العام وهذا المقام يجعل لهذه الدار قيمة ثمينة أحرى بنا ان نحتفظ بها مع آثارنا الخالدة التى يهم العالم الاسلامي ان يراها مشيدة شامخة البنيان عالية الاركان ولكنني ويالالأسف وجدتها أيضا مغلقة كسابقاتها خشية التمسح

وهـذه الدار أيضا لها تاريخ مجيد حيث قد ثبت ان حسان بن تبع قد وجد فى العلم الغيبي ان يثرب هذه ستكون مقرا لنبي يبعث فى آخر الزمان فارصد هذه الدار لتكون سكنا له ولكن لما تقادم العهد على هذه الوقفية لم يبق لها من أثر واننا نصدق بهذا الحديث لان هؤلاء القوم كانوا يستوحون الغيب من طريق استراق السمع من السماء ومن علم التنجيم والسحر والكهانة وغير ذلك

واننا نؤمن بالسحر أيضا لانه عند ما افتتح قبر توت عنخ أمون الفرعون المصري خرجت منه البعوضة السحرية وطارت حتى وصلت الى اللورد كارنرفون نابش القبر ولدغته فمات على الاثر

الحوض المورود

ولقد وجدت قريبا من هذه الدار سبيلا معطلا يسمونه (الحوض المورود) كان يستقى منه الناس ماءً عذبا فراتا ولكن اسمه جنى عليه فاغلق لانه لا يوجد فى هذه الحياة الدنيا (حوض مورود)

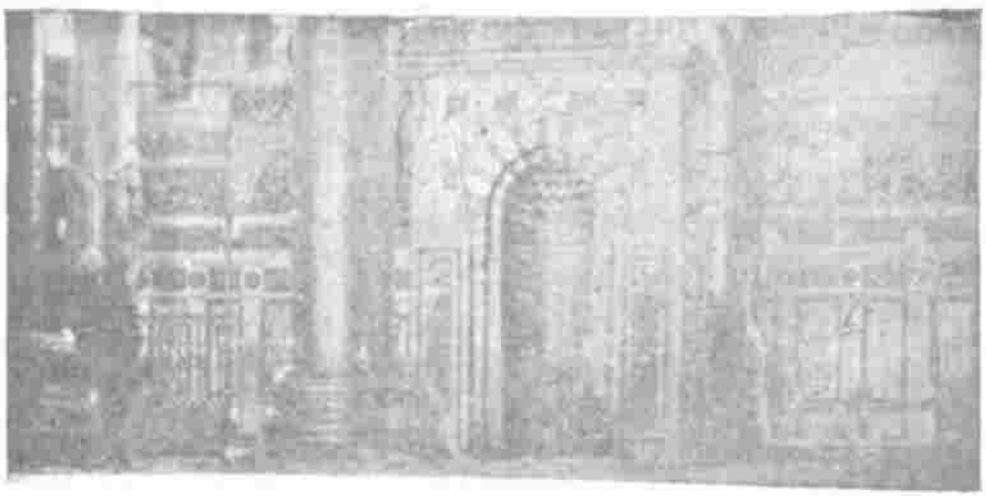

المحراب العثماني بالمسجد النبوي الشريف

جلاء الظلمة

أردنا ان نتهز هذه الفرصة السعيدة ونجلو ظلمة النفس بالتبرك بالأنوار المحمدية فكنا نقوم وقت السحر ونؤدى ماعلينا من الواجبات المفروضة ثم نتشرف بالجلوس أمام الواجهة الشريفة ونستحضر بقلوبنا ذكر الله تعالى ونرجوه ان يتفضل بتبليغ تحياتنا الى حبيبه وصفوته من خلقه وكنا نسمع القائمين بتلقين الناس الدعاء فتنشرح صدورنا بهذا المنظر المفرح ولكن كان ديدنى ان لاأرتاح الى الجهر فى الدعاء بل كانت ميولى تتجه نحو مناجاة مولانا عز وجل فى سرى وضميرى

وكنا نستمر فى جلستنا هذه منعمين بالقرب من مقام الحبيب حتى تتعالى الشمس فى كبد السماء

محاورة يوسف

بينما نحن جلوس هذه الجلسة السعيدة واذا برجل من أهل مصر اسمه يوسف محمد بيومى قد وقف ليهدى أطيب التسليمات الى سيد ولد آدم فتحكك به أحد الجنود وقال له

لماذا تضع يدك على صدرك هكذا ولمن هذا التأدب وصاحب القبر مائت ؟

فاجابه يوسف . انى أضعها لله تعالى

فيقول الجندي . ولكن الذى فى القبر ليس هو الله

فيجيبه . ان الله موجود فى كل مكان وقد أمرنا ان نتأدب مع صاحب هذا القبر الشريف

ثم يرجوه يوسف ان يسمح له بان يضمخ المقصورة الشريفة بالطيب الذى فى يده . وأراه القارورة

فيتهكم عليه الجندي ويقول له . ولكن هـذا النحاس لاينفعه الطيب فانتفع انت بثمنه

فيتأفف يوسف ويفهمه بان الملائكة هم الذين ينتفعون بالطيب وما النحاس إلا أداة لحمله فقط

فيستمر الجندي فى جداله ويسأله وأين هم الملائكة ؟

فيرد عليه اننا نسمع من أشياخنا بان الملائكة تتنزل على صاحب هذا القبر الشريف ليسلموا عليه تسليما

مايرومه يوسف

يروم يوسف أن يقول للعسكري بأن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز (يا أيها الذين آمنوا لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم لبعض)

ويقول عز وجل فى موضع آخر (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) ويقول جل ذكره أيضـا (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتـكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالـكم وأنتم لا تشعرون) فالله سبحانه وتعالى يأمرنا بأن نتأدب فى حضرته الشريفة ولو تأدبنا أمام قبره الشريف الآن نكون قد قمنا بالواجب واتبعنا أوامر الله تعالى والله يعلم ما نخفى وما نعلن

يقول الصادق المصدق (حبب إليّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء

وجعلت قرة عيني في الصلاة)

حبب اليه الطيب لانه كانت تحيط به الملائكة ولا بد أن تزور قبره الشريف الآن لتصلي عليه كما قال تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي) وإذا سلمنا جدلا وقلنا أنهم يصلون عليه بعيدا عن قبره الشريف فانه لكل منا ملكان من الحفظة والمكان قط لا يخلو من إنسان فحينئذ لا بد من وجود الملائكة . وانتفاعهم بالطيب مؤكد

هذا والافكار الخاطئة التي تمر في أذهان الفئة التي تهرف بما لا تعرف تلجئني لان أبين هنا بأنه حبب اليه النساء ليس لغرض نفساني بل لاجل أن يرى أمهات المؤمنين فعاله الشريفة فيعلمنها للناس كما أمرهن المولى الرحيم إذ يقول سبحانه وتعالى (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا) إننا نتعلم من هذا البيت الرفيع العماد بيت المجد والادب كيف نغتسل ونتوضأ وكيف نصلي ونتهجد وكيف نصوم ونتعبد وكيف نرفق بالصاحبة والولد ونحلم على الخادم ونرأف بالامة

ونتعلم أيضا كيف نسوس الاسرة ونمسك زمام البيت حتى لا يفلت قياده من أيدينا فـ (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) وبالجملة أننا نتعلم آداب اللياقة وحسن المعاشرة ولا نظهر أمام أطفالنا الا متسربلين بلباس التقوى والفضيلة حتى يشبوا عليها والانسان ابن البيئة

هذا ولقد حصلنا على فائدة عظيمة من ناحية هذا الجنس النسوي حيث كلما أذكر شيئا عن صاحبتي أذكر بجانبه واجبات النساء في الحج وانكلم عن المرأة في مناسبات أخرى

محبة يوسف

والذى يحبب إلي يوسف أنه محب وأنه محسوب ومن اللائذين باعتاب السيد الامين إذ وجدته يأتى إلى الحجرة الشريفة من جهة الروضة وهو المكان الذى كنت أحرص على الجلوس فيه بين العشائين كنت أجده يأخذ التراب من أرض الحجرة الشريفة ويكتحل به وهو سليم العينين قوي البنية

وها أنا ذا أرى القراء يسخرون من يوسف ويعيبون على قلمي أيضا أن يتفوه بمثل هذا القول ولكن أقول للمعترضين أنى قرأت فى احدى مجلاتنا الزاهرة مقالا يصح أن أذكره هنا للتدليل على أن العقيدة لها نفعها وراحتها

الدجال امام المحاكمة

قدمت نيابة محكمة السين أحد أبناء فرنسا اليها بتهمة التدجيل والشعوذة وهي تطالب محاكمته على ما اقترفه من هذا الاثم فقال المتهم وهو فى موقف الدفاع عن النفس إذا كان البتة من محاكمتى فيجب أن تحاكموا معى الاطباء أيضا لان الدواء الذى يصفه الطبيب لا يؤثر بنفسه بل إن عقيدة المريض فى دواءه بأنه ناجع فى استئصال الداء هي التى تتمشى مع سريان الدم فتساعد على الشفاء . وكذلك إن المريض يعتقد فى التعاويذ والرقى التى أعملها له أنها مؤثرة وفيها سر النجاح فى الشفاء

وكأنى بهذا الدجال وهو يقرر الحكمة التى قيلت في القدم (من اعتقد فى حجر لنفعه — اعتقاده —)

وقد أخذ الدجال يبرهن على صدق نظريته بقصة امريكي من أصحاب الملايين كانت له ابنة وحيدة لازمت الفراش لداء عياء استعصى برؤه على نطس الاطباء وقد أعلن عن استعداده لاعطاء جائزة ثمينة لمن يكون سببا فى شفاء وحيدته فجاءه رجل وقال أنه يتسنى لى علاجها على شرط أن تعرفوا أن الدواء لو زاد عن مقداره كما أواصف عليه فانه يؤذى المريضة وأن نقص يكون عديم النفع واشترط عليكم أيضا أن تكتبوا لى تعهدا بذلك وعلى هذا فانه جهز الدواء وتناولته المريضة فكانت تتماثل إلى الشفاء وتعود اليها العافية شيئا فشيئا حتى تم برؤها

وقد دار البحث الدقيق عن كنه هذا الدواء الذى لم ينفع معها غيره وعند تحليله وجد أنه مزيج بسيط من الدقيق والصودا ويقول الطبيب إنى داويتها بالوهم وهو من جنس دائها لانها توهمت انه لا يوجد دواء يتلاشى معه داؤها

هذه عقيدة يوسف وعلى كل حال فانه يجب أن لا نترك الاخذ بالاسباب كما كان سيد الحكماء يأخذ بها ويتداوى

لا سلام ولا كلام

سبق أن نوهت بأن والى المدينة حل من نفسى مكانا عظيما من التجلة والاكرام ولقد رأيته وأنا فى جلسة الصباح السعيدة يدخل إلى الحرم الشريف ليوصل أحد أضيافه للزيارة ولما مر على الحجرة الشريفة لم يسلم ولم يتكلم فتحققت من عقيدتهم فى مقام النبوة المنيف انه مات وانقطعت صلته بالكون . وهل يغيب عنهم أن الجسد ماهو إلا ظرف للروح ومتى اطلقت الروح من هذا الظرف فهي تسبح فى الكائنات وخصوصا هذه الروح الشريفة سيدة الارواح

ارباب الطرق

تذكرت وانا عند الباب المجيدي اننا كنا فيما مضى نخرج منه الى دار الشيخ محمد الدندراوي فنقابل فيها الشيخ عبد الله وكيل طريقته المنتشرة فى سائر الامصار والاقطار وكنا نرى داره زاخرة بكل الاجناس من المسلمين فكنت ترى الحجازي واليمني والمصري والشامي والهندي والجاوي والصيني وكلهم تجمعهم رابطة قوية هي طريقة الشيخ الدندراوى المتصلة بالطريقة الادريسية وقد دالت دولتهم عند ما تبوأت هذه الحكومة كراسى الحكم بالحجاز

وأنى لست هنا الآن فى موقف الدفاع عن أرباب الطرق ولكننى اذكر القصة التالية لادلل على أن هذه الطرق تنفع ولا تضر

قرأت فى احدى المجلات مقالة تحت رسم (كريكاتورى) يرسم شيخ الطريقة يأخذ بيد الافندى الذى ينتقد الصوفيين ويذهب به الى الخمارة حتى يريه العامي وهو فريسة الاغريقي الخمار يسقيه السم الزعاف (السكالانس) حتى يقوم مخمورا لا يعى شيئا ويصبح خملا متكاسلا عن عمله ثم يسأله . هل الاصوب أن أترك هذا العامي فى هذه البؤرة أو ادعوه الى الذكر فيوفر عليه صحته وماله ودينه؟

فى ساحة التأديب

كان لزاما علينا ان نبر بأرواح عظمائنا ونعطف على من اجهدوا انفسهم لاجلنا ومن الواجب المحتم أن نزور هذه القبور العزيزة علينا للذكرى

وللعبرة وللقـدوة . قبور هؤلاء الذين لايستطيع أحد ان يرقى الى سماء علياءهم أو ان يلحق مجد مجتهد بآثار فضلهم لانهم مثـال التضحية العظمى وإنكار الذات امام المبدأ الاسمى الذى يجاهدون فى سبيله

اكترينا عربة وخرجنا من الباب الشامي وعلى بعـد ثلاثة أميال من المدينة المنورة وصلنا الى ساحة التأديب الآلهي لخواص المسلمين حيث لم يعملوا برأي الحكيم المدرب وقد أراد ان لاينبـذ الى المشركين خارجا عن المدينة بل يقاتلهم تحت جدرها عند ماجاءت قريش لاخذ ثأر قتـلاهم فى غزوة بدر الكبرى ولكن فتيان الموحدين أرادوا ان يزهوا ببطشهم وان يظهروا شجاعتهم أمام عدوهم ويحاربونه بالعراء بعيدا عن عقر دورهم فكانت

موقعة احد

لما تلاقى الجمعان تظاهر جيش الاسلام وكان له النصر والغلبـة واذا بالرماة يخالفون أمر قائدهم وسيدهم فتركوا موقفهم بجوار الجبل الذى يحمى ظهرهم والذى أوصاهم وأكد لهم الوصية بان لايبارحوا موقفهم سواء انتصر الجيش أو انخذل

ولما رأى خالد بن الوليد قائد جيش الاعداء ان المكان أصبح خاليا من الرماة احتله برماته ونضح المسلمين بنباله وكر عليهم بخيله ورجله حتى انعكس ظفر الموحدين الى هزيمة

يلهو الطفل بعود من الثقاب يشعله وقد تحترق مـدينة باسرها وهو لاه يلعب ولا يقدر نتيجة طيشه وكذلك الرماة فانهم لم يستمعوا حتى ولا لنصيحة كبيرهم عبد الله بن جبير وهو ينهاهم عن مخالفة أوامر القيادة العليا فلم يتبصروا ولم ينظروا الى العواقب بل انهم التفتوا الى حطام الدنيا الفانية

وصاروا يجمعون الاسلاب والغنايم مع جيشهم الظافر ولم يثبت منهم مع كبيرهم سوى عشرة أشخاص راحوا كلهم ضحية الواجب

وكادت النواة الصالحة للاسلام ان تقطع من أصولها قبل ان تنمو وتزهر وكاد أيضا ان يطفىء نور الايمان الذى ابتدأ ينتشر ضوءه من هذه الشرذمة المباركة لولا فضل الله ورحمته بالارض حتى يعبد ويذكر فيها اسمه

وكانت أيضا رعونة الرماة وطيشهم سببا فى ايصال الاذى الى المقام الرفيع مقام القائد الاعظم حيث كسرت رباعيته السفلى . وكانت القبة المقامة عند أحد تذكرنا بهذه المأساة الفاجعة . وهناك أيضا ترى الصخرات عند الشعب فيعز علينا ان نرى سيدنا ومولانا أبا القاسم وهو لا يستطيع النهوض حتى يرقى الى الصخرة فيرفعه طلحة الفياض اليها وذلك بسبب انهاكه من الوقوع فى احدى الحفر التى احتفرها ابو عامر الفاسق وما نزف من دمه المبارك حيث شج وجهه الشريف بدخول شظايا من المغفر فى جبينه الوضاء

اننا نذكر هذا لنذكر معه مثلا صالحا من الصبر على احتمال المكاره فى سبيل نصرة الحق

انه ليصعب علينا جدا ان نرى عظماء السابقين من المسلمين وشفار السيوف تلعب فى نفوسهم الزكية وليس لهم ذنب فى نظر المضلين الا ان يقولوا ربنا الله . وعلى كل حال فان الحرب سجال ولكن العاقبة للمتقين

السادة الشهداء

وقفت على قبر سيدنا حمزة بن عبد المطلب وكم تمنيت ان اقيه من حربة وحشي وأتقاها فى احشائي حتى يتمم هو المهمة التى كرس حياته لاجلها وحتى لا يتسرب الحزن الى هذه النفس الزكية نفس ابن اخيه الحليم الرشيد

وبهذا القبر الشريف سيدنا عبد الله بن جحش صهر الرسول الكريم وابن عمته وهو اخو أم المؤمنين السيده زينب بنت جحش وقد دفن مع خاله فى قبر واحد وهناك ايضا حامل لواء المسلمين سيدنا مصعب بن عمير حيث قطعت يمينه فتسلم اللواء بالاخرى ولما قطعت هذه ضبه بعضديه حتى قتل راضيا مرضيا وكان احسن فتيان مكة مالا وجمالا وهنداما فلما تذوق بشاشة الايمان تقشف اعراضا عن هذه الدنيا وهو من خاصة قريش حيث كان بعلا كريما للسيدة حمنة بنت جحش اخت ام المؤمنين السيدة زينب بنت جحش وهو ايضا من اشراف بنى عبدالدار حملة اللواء فى قريش

هؤلاء من وعتهم الذاكرة من السادة المهاجرين

اما السادة الانصار فقد تحملوا الصدمة لانهم اكثرية الجيش فكان الشهداء منهم كثيرون واخص بالذكر من بينهم سيدنا عمرو بن معاذ أخا سيدنا سعد بن معاذ من عرفنا مناقبه الكريمة ومكانته من نفس سيد الكائنات

وكذلك نذكر شيئا عن سيدنا سعد بن الربيع احد وجهاء الانصار الذى نصح لله ولرسوله حيا وميتا حيث تفقده خير المرسلين بعد الموقعة ولما لم يجده أرسل من يبحث عنه فوجده ملقى جريحا يكاد ان يلفظ النفس الاخير فقال له سعد (بلغ الانصار وقل لهم . الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله ليلة العقبة فوالله مالكم عند الله عذر)

كان اليق بهذه الاجداث الطاهرة ان تتحول الى قصور فخمة تحيط بها الحدائق الغناء وتوضح مناقب أقمارها الذين يزدهى بهم تاريخ الاسلام الحافل بمآثر العظماء من أبنائه وتكتب باحرف بارزة حتى يعرفها الخلف عن السلف فيقتفوا أثرهم ويهتدوا بهديهم

ماذا بالوادى ؟

فى وادي حمزة عيون الماء التى تنبع نبعا طبيعيا وبعضها ينزل اليه بدرج وبعض الناس ينزلون اليها بقصد الاستحمام وبالوادى الحدائق الكثيرة من النخيل والاشجار الباسقة

وهناك بعض المبانى يسكن بها الدهماء من أهل الضواحى وهناك أيضا بعض الآثار وكانت توجد مساجد ومبانى كثيرة عفت آثارها فى عصر هذه الحكومة الوهابية

وجاء عندنا رجل من أهل هذه الضاحية يدلنا على هذه القبور العزيزة ويلقننا الدعوات التى ندعوها عندها وكان هذا الدليل يمشى على وجل ولا يكاد يبين كانه يخشى الرقباء ولقد أبدى كثيرا من الامتعاض والتوجع لما أصاب بعض المدنيين الذين كانوا يرتزقون من زوار هذه الاضرحة وهو يطلب من الله تعالى الفرج القريب واننا نطلب معه هذا الفرج ولكن فى ظل هذه الحكومة التى حقنت دماء المسلمين

شماتة المنافقين

ونحن عائدون الى المدينة المنورة تذكرت فلول الجيش العزيز المنهزم وهي تدخل الى المدينة فيقابلها المنافقون بالشماتة والتشفى وبما أن هذه الحياة الاولى ليست محلا للجزاء لهذا تراها دائما لا تصفو لاحد وخصوصا الاخيار فيها فانهم أكثر الناس ابتلاء بها ليزيد الله تعالى فى أجورهم فلقد تنفس الصحب الكرام نسيم الحرية عندما هاجروا الى طيبة وتركوا المشركين واذاهم واذا بهم يواجهون براكين دفينة من العداء والحقد الذى تتأجج ناره فى صدور

هؤلاء المنافقين الذين كانوا يصانعونهم فى الظاهر وفى باطنهم يتمنون أن تدور عليهم الدوائر فكانت هذه الحزازات تسبب متاعب كثيرة للقائمين بالدعوة الى التوحيد حتى أصبحت مأموريتهم شاقة ولكنها تزيد جمال صبرهم جمالا

والمنافقون فى الامم دائما أسباب شقائها وعلة بلائها فهم دائما يكشفون سجف سترها أمام المغير حتى يطلع على عورات المخلصين منها فيبطش بهم ويقضى على مايبذلونه من جهد فى خدمة الاوطان

ومن الغريب أنك ترى المنافق مزعزع العقيدة سقيم الوجدان فيعيش دائما أسير تأنيب الضمير حتى يفقد الكثير من شجاعته الادبية فتراه ينفر من أقل صفير ولكن لما كانت البعوضة تدمى جبهة الاسد فلهذا كان أذى المنافقين سببا لتدهور أممهم وتعاستها

مسجد العمامة بالمدينة المنورة

مساجد المدينة

كانت عند الناس فكرة الاحتفاظ بآثار سيد الاولين والآخرين فكانوا يشيدون المساجد على كل أثر منها وهي كثيرة ولكنني سأذكر أشهرها

(مسجد الغمامة) وقد أقيم مكان مصلى الاعياد بالمناخة خارج الباب المصري

(مسجد الفتح) وهو المكان الذى دعى فيه الرسول الكريم على الاحزاب فى غزوة الخندق

(مسجد القبلتين) وهو المسجد الذى تحولت فيه القبلة من بيت المقدس الى البيت الحرام وهو كائن جهة وادى العقيق

(مسجد أبي بن كعب) وهو على يمين الخارج من درب البقيع .

ويوجد مساجد أخرى كثيرة مثل مسجد عروة ومسجد أبي بكر ومسجد عمر ومسجد المائدة ومسجد بني ظفر ومسجد بني قريظة ومسجد الراية وغير ذلك .

اليمين الغالى

لا أزال أذكر جلسة الصباح السعيدة التى يكل القلم عن وصفها وكانت صاحبتى تجلس معى لتحظى هي الاخرى بنفس هذه السعادة وكانت ترى الزائرات من المصريات يستعملن كل وسائل الحيل للوصول الى الشباك فتود ان تضع يدها مثلهن لان السيدة عندما تعود من الحج يكون اليمين الغالى عندها (وحياة النبي اللى حطيت يدى على شباكه) فماذا أصنع الآن والجند السعودي واقف بالمرصاد يمنع الايدى ان تصل الى الشباك ؟ ثم وماذا أصنع أيضا وقد

ترجع صاحبتي وكأنها ماحجت لانها لاتستطيع ان تتفوه بذكر هذه اليمين الفموس ؟

أأعمل كما يعمل الدهاة المحنكون حيث يصلون الى أغراضهم ولو على جسر من التمويه ؟ وأخيرا تمكنت الحاجة ان تمد يدها حتى وصلت الى الشباك وقد تخلصنا من هذا المأزق بسلام

الامن فى طيبة

أردت ان أسبر غور الأمن هنا كما خبرته بالبلد الحرام وكنت فى عام ١٩١٠ أخرج من الباب المصري لاشي فى المناخة بين السورين فينصحني أحدهم بعدم المشي بمفردي خوفا من أذى العربان ولكنني سرت ولم ألق كيدا. واليوم أخذنا طريقنا من وراء السور من البقيع الى الباب المجيدي ولم يعترضنا أحد فى طريقنا حتى ولم يصادفنا إنسان

وكنت أخرج بنفسي من المنزل وأتوجه الى المناخة من الخلاء من وراء نزلة بنى حسين واشترى حاجتنا من الخضر والفاكهة والخبز والسمن وما الى ذلك وأيضا لاستحضر السقا من البازان عند مايطل علينا فى المرور

وكان التجار يتركون حوانيتهم مفتوحة ويذهبون الى المسجد وقت الصلاة كدأب السعوديين فى المحافظة على إقامة الصلوات فى أوقاتها ومع هذا لم يجرأ أحد على انتهاب متجر أو حانوت أو تحدثه نفسه بسلب أو اختلاس

التكية والبعثة الطبية

الانسان فى الغربة يتلهف على ان يستنشق رائحة بلاده الزكية ويتمتع ناظره باي أثر من آثارها المباركة ولذا توجهت الى التكية المصرية هذا

واجهة التكية المصرية بالمدينة المنورة

البناء المؤسس لفعل الخير والبرهان الحي الذى يشهد لمصرياتها أحسن بلاد الاسلام برا وعطفا على هذه البلاد المقدسة وعندما خطرت فى رحابها آنست من نفسى ارتياحا وانشراحا دعانى لان أبتهل الى بارىء النسم جل وعلا ان يحفظ كنانته من كيد أعدائها حتى يدوم عطفها وبرها على حرمه وحرم نبيه وحبيبه ولقد لقيت من ناظرها العام كل ترحاب وإكرام ماجعلنى ألهج بشكره والثناء عليه

وكانت البعثة الطبية قد وصلت بصيدليتها وعقاقيرها وعمالها واتخذت دار التكية سكنا لها وكتبت على الباب بالقلم العريض (البعثة الطبية المصرية) فكان فرحى بذكر بلادى كاعجابى بالخدمات الانسانية التى تقوم

بها البعثة الطبية وانني أعود فاطريها أيما إطراء كما وانني وجميع الحجاج نثني عليها أطيب الثناء

الصحة بالمدينة

تجبرني الحاجة عزيزة هانم جارتنا في معظم تنقلاتنا بهذه السفرية السعيدة على الاطناب في الادارة الصحية بالحجاز حيث تخبرني صاحبتي عن لسانها بانه اعتراها مرض دعاها الى الذهاب لمركز الصحة الحجازية الكائن قريبا من باب السلام فلاقت من العناية بامرها والاعتناء في شرح دائها ووصف الدواء اللازم لعلاجها ماجعلها بفضل الله تعالى تحصل على الشفاء فشكرا ثانيا بل وشكرا دائما للادارة الصحية بالحجاز

جلسة الصباح

قد يراني القارىء أحاول الاكثار من ذكر هذه الجلسة الصباحية السعيدة وما هذا الا لأني عانيت الصبابة حتى عرفتها وأمعنت النظر في هذه الجلسة فقدرتها حق قدرها اذ كنت أجلسها والجو صحو والوقت صفو والذهن رائق والمزاج معتدل والقلب فرح طروب بقرب الحبيب المحبوب فاية سعادة هذه وأي هناء ؟

انني أعرف ويعرف معي كل عارف انني ماثل امام الرحمة التي تفضل الله تعالى بها على الارض فاصبحت ولا خسف ولا مسخ ولا قتل ولا ضفادع بل رفع عنا المقت ببركة هذا الجسد الطاهر الميمون

انني أعرف انني ماثل امام سر الله الاعظم الذي كان يلتمسه البدوي الجلف فيخرج اماما يستضيء الناس بهديه كانه علم في رأسه نار

أعرني قلبك حتى أتقوى به على تحمل هذه المشاهدة التي تتصدع لها الجمادات فضلا عن المضغة التي بين الصدور لانني ماثل أمام هذا المكان ولا اسميه (القبر)لأن اللغة العربية على غزارة مادتها إلى هذا الوقت لم تخرج له اسما لانه أفضل من العرش وأفضل من اللوح وأفضل من القلم وأفضل من الكرسي وأفضل من السماء وأفضل من الارض

انني أخال وأنا بهذه الجلسة السعيدة أن الجنة مني على قاب قوسين أو أدنى ولكن أين هي الجنة ونعيمها من شرف هذا المكان ورفعته

انني أمام بيت السيدة عائشة الصديقية وبجانبه الحجرات الشريفات التي كان يؤمها الامين جبريل وفي يمناه النور ينشره على الارض فيهتدي الانسان على ضوئه الى الطريق الذي يوصله إلى السعادة السرمدية . وفي يسراه الرحمة يوزعها على المسكونة فيسكن الناس اليها ويتفيأون ظلالها الوارفة

كان هذا المسجد المركز العام الذي تستمد منه الانسانية سعادتها ورفاهتها . وكان المعهد الاكبر الذي تتخرج منه الامامة والقطبية والروحانية ولا يزال إلى الآن أحد المساجد الثلاث التي تشد اليها الرحال فيعود منه زائره رابح البيع مجبور الخاطر يحمد غب السرى

وبالمسجد أعمدة معلمة في وسطها بنقوش بارزة قيل أنها حدود المسجد في عهد الخلفاء الراشدين

وبجانب هذا المقام الشريف ثمان اسطوانات يسمونها . اسطوانة محل صلاته . واسطوانة عائشة وتسمى اسطوانة القرعة . واسطوانة التوبة وهي محل اعتكافه . واسطوانة السرير . واسطوانة علي . واسطوانة الوفود . واسطوانة جبريل . واسطوانة التهجد

حمام الحمى

كأني بهذا النوع الجميل من الحمام وقد قطع الدرب ليحنوا على صاحب شريعة الاسلام . وكأني بالحرم المكي وهو يعطف على ابن زمزم والمقام فيهديه شيئا مما عنده من الحمام . كم يروق للاحداق منظر هذا الحمام وهو يمرح في أمان وسلام وكنا كما كان الناس نلقي اليه الحب ليكون له طعاما

وكنت أراه فيما مضى يتنقل على غصون الحديقة الصغيرة التي كانت في صحن المسجد الشريف ويقولون أنها موضع نخيل كان للسيدة الزهراء سلام الله عليها وعلى أهل البيت الاطهار والصحابة والانصار والآن قد قطعت هذه الاشجار . وكنا نجد أيضا بالصحن بئرا كانوا يسمونها (زمزم المدينة) والاخرى عفت آثارها ومحي رسمها

الشعب العراقي

ان أكبر رابطة من روابط الاخاء الانساني هي رابطة الدين كما قيل (ان لا عصبية في الاسلام) ولقد وجدت أحد اخواننا العراقيين وهو يتفجرا خلاصا وحنانا لعارفيه ولمن حوله من المسلمين وقد أتيحت لي فرصة سعيدة للكلام معه فذكر لي الكثير من البشائر المفرحة عن الشعب العراقي حيث انه ينهض الى الرقي والحضارة بخطوات موفقة حتى امتلأنا أملا بانه سيجدد شباب المدنية الاسلامية ويعيد الى (بغداد) مجدها القديم

ثم أخذ محدثي يتدفق غيرة ونصحا إذ يقول . انهم يصمون الاسلام بالجمود وهو منه براء ولو نقبت في بطون الاسفار لرأيت النشاط والشهامة احدى سجاياه الكريمة حيث ترى صاحب الشريعة المطهرة وهو يقف على

فتية من الانصار يترامون بالنبال فيشجعهم ويحثهم على الرمي والتراشق بالسهام وكان يدخل فى سباق الخيل ويتسابق هو بذاته الكريمة فيه وهذه هي الرياضة البدنية التى يقولون انها من ابتكار هذا الزمان

ان هذا الدين دين الاجتماع لانه يحث على العلم والاحاديث الشريفة عن طلبه أشهر من ان تذكر

الدين لا يأمرك بالقعود فى الزوايا بل يقول لك ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ويحثك على السعي حتى وانه يقول (ان هناك ذنوبا لا يكفرها الا السعي على المعاش)

الدين يفرح بك لو انك تنط على الحبل وتلعب على الشنكل وتنزل الى ميدان المصارعة وفى حلبة السباق وفى مسابقة السباحة ويفرح بك أيضا عند ما تصيب هدف الرمي وتطير فى السماء وتغوص فى الماء وهو لا يكلفك الا بشيء بسيط جدا لا تغرم فيه ولا مليما واحدا هو ان تصلى الفريضة عند ما يحين وقتها ولا يرهقك عسراً بان تذهب الى المسجد بل انك تصلى مكانك حيث جعلت لك الارض طهورا

يقول لك الشاب ان ثوبى تلوث بالنجاسة فقل له ان الدين يسر حتى وان بعض المذاهب تقول ان ازالة النجاسة العينية سنة. ويعود فيقول لك ان لبس البنطلون يرغمنى علي ان أبول واقفا فيطير الرشاش عليه فقل له اترك الوسوسة وصل فمثل هذه الاحوال الطفيفة يعفو عنها الشرع المصون

ثم والدين يأمرك ان لا تنظر بريبة الى أخت صديقك فينظر صديقك الى أختك ولا يرضيك العبث بعرضها . وبالجملة انك تعادى الدين والدين يعطف عليك ويحرص على بقاء نوعك فى هذه الحياة وفى اتصاله بالملكوت الاعلا فى الحياة الآخرة

الطواقى الحجازية

اعتزمنا على مشترى الطواقى التى لابد أن نزين بها رؤوس أطفالنا وكانت هذه الطواقى هي المحك الذى فحصت به الحالة الاقتصادية فى هذه المدينة المباركة حيث كانت أحسن طاقية مزركشة تقدم للمبيع بسعر ثمانية قروش سعودية وهي تساوى ثلاثة قروش ونصف مصرية ولو نظرنا فى أسعار الخامات المركبة منها هذه الطاقية لوجدنا ثمنها يساوى ضعف هذه القيمة من قماش ملون وقماش مقصب وترتر هذا عدا أجرة الخياطة والاغرب من هذا انه كان يعرض علينا بعض الطواقى الواطية بثمن قدره هللتين أي نصف قرش سعودي وربع قرش مصري وهذه القيمة أقل من ثمن بطانة الطاقية . فكنت أسأل المدنيه بائعة الطواقى عن سبب هذا الرخص فتجيب بان السبب اننا نشتغل فى خياطة هذه الطواقى من العام الى العام حتى نجهز منه كمية كبيرة تكفى كل الزوار . ولما كان حج هذا العام قليلا جدا لحد الثلث فاضطررنا ان نتخلص من المخزون عندنا ونصرفه بأبخس الاثمان حيث لاطاقة لنا بان نتحمل تخزين أية كمية نحن فى حاجة الى ثمنها لسد الرمق وكم أتمنى للمدينة التى يثرز اليها الأيمان كما تثرز الحية إلى وكرها أن يأرز اليها الرخاء واليسر والسرور والهناء

ثمرات النخيل

من البركة التى حبا الله تعالى بها المدينة المنورة أن جعل ثمار نخيلها أحسن ثمار العالم حلاوة ونكهة وطعما فترى البلح أنواعا شتى تفوق الغاية عدا فمنها الحمار ومنها الرطب ومنها الحلو والمتوسط فى الحلاوة وأم أنواعه

العنبرية وهو غالى القيمة ويليه الشلبي ثم الحلوة والسكرة والمكتومي وغير ذلك وأهم مايستصحبه الزوار من هدايا المدينة المنورة هو هذا التمر اللذيذ

التجارة فى المدينة

من فرط محبتى للمدينة المنورة وساكنيها الكرام أنى أرجأت مشترى بعض الهدايا حتى اشتريها منها وقد اشتريت بعض الاشياء من أنواع كثيرة مثل العباءة النعماني والعقال القصب والشال المزركش والكوفية الحرير وغيرها وكان قلبي يميل كل الميل إلى تجارها ورقة طباعهم وعذوبة الفاظهم واسأل الله تعالى أن يجعل النجاح والفلاح قرين أعمالهم

الخمر الفاسد بالمدينه

تصادف ونحن بالمدينة المنورة ان الاسبيرتو المعجون بالاسبيداج (كأصابع الطباشير) والاسبيرتو السائل أيضا أن نفدا منا فبحثت كثيرا حتى اهتديت إلى تاجر يبيع هذا الصنف فاشتريت منه قارورة صغيرة تسع ربع لتر تقريبا بمبلغ اثنى عشر قرشا مصريا والامر الذى أعلق عليه من الاهمية فى سرد هذا الخبر ليس هو غلاء الصنف فحسب بل لانى رأيته يتغير طعمه ولونه حتى صار عنابي اللون ولما سألت عن سبب ذلك أخبرنى التاجر بأن الحكومة من زيادة حرصها على تحريم دخول الخمر فى بلادها أنها تأمر الصحة بأفساد هذا الصنف لانه من الكحول التى تضاف إلى الخمر أو يشكل منها الخمر. وياليتنا نحرم الخمر فى كل بلاد الاسلام كما يأمرنا ديننا الحنيف الذى أهملنا تعاليمه القويمة وعمل بها غيرنا وهذه أمريكا تحرم الخمر فى بلادها . فمتى نرعوى حتى يرجى لنا صلاح الحال وهدو البال ؟

تلغراف المندوب

أعلنت الشركة ركابها بان سياراتها ستبارح المدينة المنورة فى مساء

يوم الجمعة ٢٧ الحجة ١٥ مايو فصرت أبذل مساعي كثيرة لاجل ان نتمكن من المكث مدة أطول من هذه التسعة أيام حتى نتمتع بزيادة المشاهدة (والطمع فى الدين) واذا بالشيخ الخطيري يخطرنا بان آخر باخرة تقوم من جدة الى القطر المصري فى يوم الثلاثاء المقبل كما ورد من مندوب الداخلية عن لسان البرق ولذا لم نجد بدا من الانصياع لتعليمات الشركة حتى نلحق آخر باخرة

فكنا نعد الاوقات وما أسرع ما تمر أيام الهناء فكل ثانية تمضي كانت تدق لها نبضات القلب حتى صار كثير الخفقان سريع الحركة وما كان اصعب علينا من يوم الخميس نذير الفراق. ولقد دفعت فى هذا اليوم رسوم الكوشان الى الشركة وقدرها تسعة عشر قرشا سعوديا عنى وعن صاحبتى

صلاة الجمعة الثانية

بكرنا فى صباحها كعادتنا فى جلسة الصباح السعيدة ثم نعود الى المنزل نتناول طعام الافطار ونقضى بعض المصالح ولما حان وقت صلاة الجمعة توجهنا الى المسجد الشريف وكانت صاحبتى تجلس فى المكان المعد لجلوس النساء وهو كائن وراء دكة الاغوات مباشرة ثم اقبل الخطيب ذاته والقى خطبته

ولقد سبق ان حضرت صلاة جمعتين فى الزيارة الماضية وكنت أرى الخطيب فى المرة الثانية غيره فى المرة الاولى الامر الذى عرفت منه وجود خطباء كثيرين بالمسجد الشريف

ولقد صلينا وحمدنا الله تعالى وكان القلب يضطرب لشدة وقع الفراق لاننا كنا فى الصلاة والمتاع بالمنزل محزوم

الوداع الوداع

ماذا يبدى القلم وماذا يعيد ؟ انه امام أمر جلل ليس من السهل الهين ان يخوض غماره ويأمن العثرات وعدم السداد

محب مغرم دنف يتمتع بالقرب من مقام الحب وبعد سويعات يسقمه البعد ويضنيه السهاد

صب مستهام مسعد بالزلفى لدى باب الله الذى كل من يغشاه ينال الحظوة ويحظى بالمراد

كلف متيم يبسم له الدهر فيمتع ناظره بالنور الاول النور الذى يخبرنا عنه جابر بن عبد الله فى حديثه اذ يقول له رحمة العالمين (اتدرى أول ماخلق الله ياجابر ؟ . نور نبيك ياجابر)

فماذا يكتب القلم وماذا يقول ؟ انه مهما كان جريئا مقداما فلا بد ان يكبو فى هذا المضمار

لان الثاوي هنا فى هذا المكان هو حجة الله تعالى على الناس حيث يقول له مولاه جل ذكره (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا)

هنا فى هذا المكان غيث الاخلاق المنهمر الذى يرتشف منه كل الناس فيروى غلتهم ويشفى فؤادهم

هنا الجود والسخاء هنا المروءة والشهامة والشجاعة والاقدام والعفاف هنا الحياء والقناعة والتقوى والورع والحلم والعفو والصدق والامانة

هنا الفضل الذى شهدت به الاعداء قبل الاصدقاء اذ يقول (فون غوت) فياسوف المانيا الكبير (ان محمدا استطاع بثاقب فكره ان يقلب نظام المعمورة)

ياسيدى ياأبا القاسم اننى واقف باعتابك لائذ بجنابك فاسمح وجد لى بنظرة أتقى بها نوب الزمان .ياسيدى ياأبا الزهراء عسى أن أوفق لاعمل عملا صالحا فاكون تحت لوائك واسقى من حوضك.أرجو ان يكون وداعا بعد هذا الوداع والسلام على سيدنا ومولانا الحبيب ورحمة الله تعالى وبركاته

إلى الرحيل

خرجنا من الحرم الشريف النبوي بعدما أدينا فريضة الجمعة وواجبات الوداع وسرنا الى طريق البيت ونحن نتعثر فى أثواب الشجو لهذا الفراق الاليم وقد أحضر لنا الشيخ عبد الله فضايلى الحمالين التكارنة لحمل الامتعة وأخذنا معنا ما جهزناه من الطعام لنقتات به أثناء الطريق

بارحنا المنزل بعد ان ادينا الواجب فى وداع ساكنيه وداعا حارا وكنا نودع الديار إكراما لساكنيها ونودع الاماكن لانها محل خطرات الحبيب إلى أن وصلنا إلى الساحة الواسعة عند محطة السكة الحديد محل موقف السيارات من كل الشركات

على متن السيارة

ايضا

جئنا على موقف الشركة الخيرية حتى اهتدينا إلى سيارتنا رقم ٢٧٠ ووجدنا سواقها (بكر السوداني) فى انتظار الركاب ليجلسهم فى أماكنهم ووجدنا أصحابنا الافغانيين قد حضروا وأخذوا مجالسهم فيها ثم جلسنا فى محلنا وجلس أيضا الحاج محمد سليمان وكان لا يزال متعبا من أثر التوعك والذى كان يعوض علينا عدم التفاهم مع اخواننا الافغانيين إننا كنا فى راحة معهم لانهم مؤدبون ويتحلون بحلية الحياء والوقار

وقد أخذت الحكومة فى قيد السيارات ورقمها وتعداد الركاب وجنسياتهم وكتابة التصاريح اللازمة لهم وكلما تنتهى سيارة تخرج من باب المدينة وتسير فى طريقها وقد صلينا العشاءين مكاننا ولم يأت الدور لسيارتنا بعد